قيود السماع مصدرٌ من مصادر التّراجم

"سماع لابن تيمية وهو في سن العشرين"

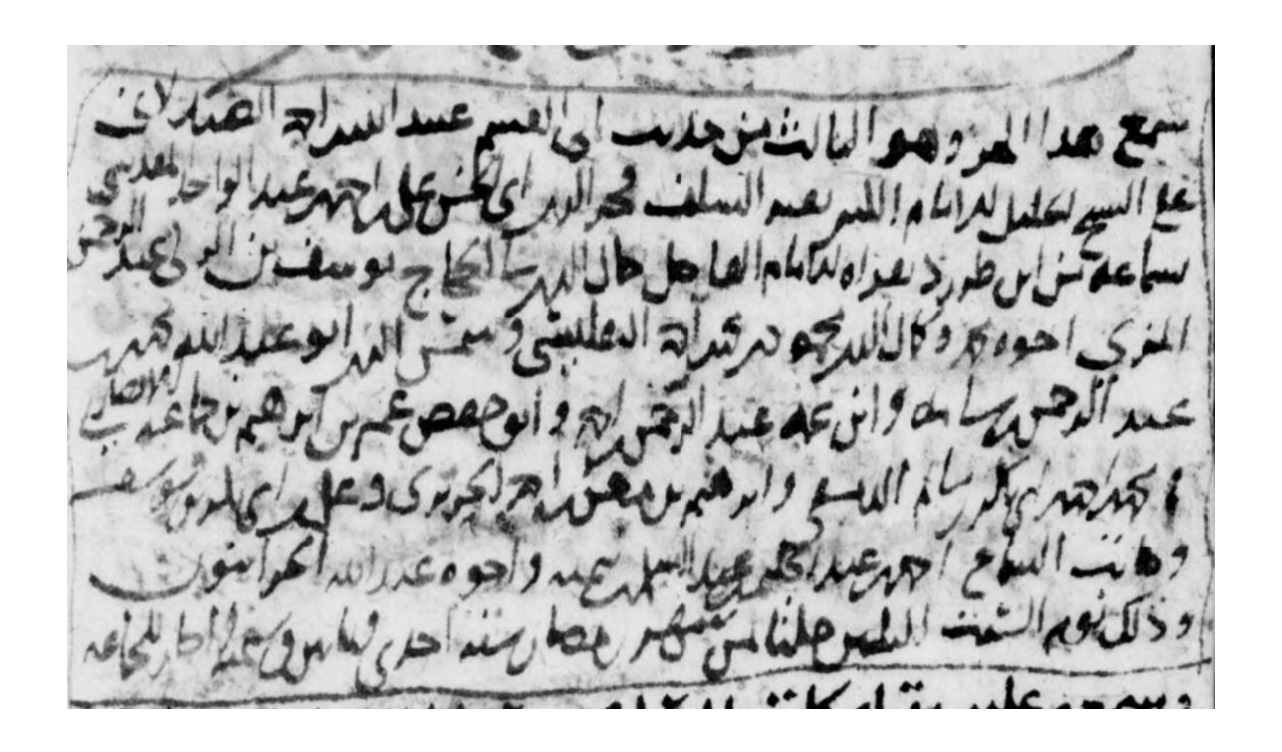
ضياء الدين جعرير

لقيود السّــماع في المخطوطات الإســلامية فوائد عدّة، ومن أبرز هذه الفوائد ما يُمكن اســتخلاصــه من سِــيَرٍ، وتراجم، وأخبار لأعلامٍ ذُكِروا في هذه السّــماعات، فيُمكن مثلًا إن توفّرت ســماعات عِدّة لعلَمٍ من الأعلام أن تُدرس ويُســتخرج منها مســارٌ علمي، تاريخي، جغرافي خاصٌّ بهذا العلم، فيُعْلَم مثلًا الكتب التي سـمعها، والزملاء الذين اشـتركوا معه في هذه السـماعات، المشـايخ الذين ســمع منهم، وأبعد من ذلك حتّى تطوّر خط هذا العَلَم إن كان هو كاتب السّــماعات، وكذلك الأماكن التي زارها لطلب العلم، إلى غير ذلك مما يُمكن اسـتنباطه من هذه القيود المفيدة، وفيما يلي قيد سـماع لشـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله (٦٦١ – ٧٢٨ هـــ)، رفقة أخيه شـرف الدين ومجموعة من العلماء، هذا نصّه:

" سمع هذا الجزء –وهو الثّالث من حديث أبي القا سم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني– على الشيخ الجليل الإمام الكبير بقيّة السّلف فخر الدّين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدســي بســماعه من ابن طبرزد بقراءة الإمام

الفاضــل جمال الدين أبي الحجاج يوســف بن الزكي عبد الرحمن المزي: أخوه محمد، وكمال الدين محمود بن محمد بن أحمد التفليســي، وشــمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرّحمن بن ســامة، وابن عمّه عبد الرّحمن بن أحمد، وأبو حفص عمر بن إبراهيم بن جماعة الأنصــاري، ومحمّد بن أحمد بن أبي بكر بن ســالم الدمشــقي، وإبراهيم بن معن بن أحمد الحريري، وعلي بن أبي بكر بن يوسـف، وكاتب السّـماع: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّـلام بن تيميّة، وأخوه عبد الله الحرّانيّون، وذلك يوم السّـبت لليلتين خلتا من شـهر رمضـان سـنة إحدى وثمانين وستمئة، وأجاز للجماعة"

*"المكتبة الوطنية الفرنسية: **Supplément turc 984**"*



مما يُلاحظ على هذا السّماع:

١- حرص ابن تيمية على مجالس السّــماع في عُمرٍ مُبكّرٍ، وليس هذا بغريب عنه رحمه الله ولا عن أكثر أهل عصــره من طلاب العلم الذين كان العلم شُــغلهم، وكانت بداياتهم محرقة، فرزقهم الله نهاياتٍ مشرقة.

٢- مرافقة شـرف الدين عبد الله شـقيق ابن تيمية له في مجالس السّـماع وفي كثير من المواطن، ولعلّ أخاه شـرف الدّين كان أقرب النّاس إليه، وأكثرهم به لصـوقًا وحضورًا لمشاهده وأحداث حياته الكثيرة.

٣- المتأمّل في خط شــيخ الإســلام ابن تيميّة رحمه الله في هذا القيد يُلاحظ أنّه أكثر وضــوحًا من الخط المعهود عند الكثير من المشــتغلين بتراثه رحمه الله، وذلك لأســباب منها حداثة السّــن في رأيي، وأغلب فتاويه رحمه الله التي توجد مســوداتها الآن في المكتبة الظاهرية وغيرها كُتبت في مرحلة متقدّمة من عمره، كان فيها سـريع الكتابة ما جعل خطّه صـعب القراءة حتى على أهل عصـره كما جاء في بعض المصادر.

٤- كثيرٌ من السّــلف كرهوا عقد مجالس التحديث في شــهر رمضــان، ولكن لا يُفهم من ذلك حُرمته، ولا يُنكر على المشــتغل به، فقد ثبت كذلك أن الكثير من السّلف عقدوا مجالس تحديث في شهر رمضان المبارك كما في مثالنا هذا.